الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
﴿ ليالي الأصفهاني في كتاب الأغاني ﴾

ابن جامع

مقدمة موسيقية...

مقدمة كلامية.....

أبو الفرج: ابن جامع ويكنى أبا القاسم امه امرأة من بني سهم تزوجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن كان أقبح من خلق الله فطلقها معن بن زائدة منه حفظ القرآن فكان أعلم خلق الله به وتفقه في الدين..كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ولا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله..

ضجة ناس مع صهيل خيل ثم تهدأ الضجة شيئاً فشيئاً.....

ابن جامع: سلام الله عليكم..

أصوات: وعليك السلام..

ابن جامع: أنا رجل من مكة قدمت بغداد لا أعرف أحداً فيها فقد انقطع ما بيني وبينها منذ سنوات..

ابن البغدادي: قل أيها الغريب ماذا تريد فأنا هنا في خدمة أمثالك من الناس.

ابن جامع: أنا إسماعيل بن جامع.

ابن البغدادي: " يصرخ من المفاجأة " أنت ابن جامع وتقول أنّك غريب؟ المدينة مدينتك..والناس كلهم هنا في خدمتك..

ابن جامع: شكراً يا.....

ابن البغدادي: سمّني ابن البغدادي..

ابن جامع: حسن يا ابن البغدادي..هل لك أن تدلني الى قصر يحي بن خالد؟

ابن البغدادي: على الرحب والسعة.

ابن جامع: ألا أستطيع الاستئذان عليه منذ الآن؟

ابن البغدادي: نحاول فلا خسارة في المحاولة "ينطلق حماران وينهقان "..

ابن جامع: حمارك فيما يبدو لي قبرصي؟

ابن البغدادي: صحيح..فهو كما تراه نشيط قوي..لكن حمارك أجمل وأرق جوارح وأقرب إلى القلب. انه يبدو لي من الحمير المريسية..

ابن جامع: أحسنت.." يستمر سير الحمارين ثم يتوقفان بعد قليل "..

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

ابن البغدادي: هل ترى أولئك الناس؟ هناك تقوم دار يحي بن خالد.

ابن جامع: أهي الدار الجديدة التي يتسامع الناس بها؟

ابن البغدادي: إنّها هي بالذات..

ابن جامع: حسن ننضم إليهم وننتظر دورنا..

ترتفع ضجة يسيرة إحتفالاً بقدوم شخص مهم.....

ابن البغدادي: أتعرف ما الذي أزعج الناس عن أنفسهم وصرفهم كما كانوا فيه؟

ابن جامع: وما يدريني؟

ابن البغدادي: إنّه القاضي أبو يوسف ومعه أصحابه من أهل القلانس..

ابن جامع: المشهد طريف ومثير في الوقت نفسه..

تزداد الضجة ثم يشيع الصمت.....

ابن البغدادي: القاضي يشير إلي يا ابن جامع.

ابن جامع: ألا تنطلق نحوه فتعرف ماذا يبغي منك؟

ابن البغدادي: انتظرني قليلاً.." فترة صمت " أسعد الله أيامك أيها القاضي..

أبو يوسف: كيف حالك يا ابن البغدادي؟

ابن البغدادي: في خير حال يا سيدي..أنا في الخدمة..

أبو يوسف: حسن..هل تقول لي من ذا الذي يعتم بالعمامة السوداء على القلنسوة الطويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسياً في زي أهل الحجاز؟..

ابن البغدادي: هل تحب أن تتعرف إليه وتحدثه؟

أبو يوسف: أي والله..فإنّي أحب..

ابن البغدادي: آتي به إليك أم تذهب إليه.

أبو يوسف: بل أذهب إليه فإنّ له من سمت العلماء ووقار الفقهاء ما يستحق معه الانتقال إليه..

" فترة صمت " أمتع الله بك أيها الغريب.. لقد توسمت فيك الحجازية والقرشية..

ابن جامع: أصبت فأنا صاحب هذه الصفة.

أبو يوسف: فمن أي قريش أنت؟

ابن جامع: من بني سهم..

أبو يوسف: فأي الحرمين منزلك؟

ابن جامع: مكة..

أبو يوسف: ومن لقيت من فقهائهم؟

ابن جامع: سل عمن شئت..فإنّي لقيت عدداً منهم غير قليل..وحفظت الحديث..

" ويغمض صوته بتدرج حتى يغيب "..

ابن البغدادي: " فترة صمت " ما هذا يا ابن جامع؟ لقد طال حواركما وخشيت أن تنسيا نفسيكما..

ابن جامع: أبو يوسف من كبار العلماء.

ابن البغدادي: هذا فقيه بغداد وعالمها..

ابن جامع: وقد تمنى علي أن ألم به في داره..

ابن البغدادي: " يضحك " ومتى ستلم به؟

ابن جامع: ما الذي يضحكك يا ابن البغدادي؟

ابن البغدادي: هل تظن أنّ الناس يدعونك تخلص إليه؟

ابن جامع: ولماذا لا أخلص إليه؟

ابن البغدادي: فقيه مترصن يحضر مجالس العالم ويحيطه العالم بالجلال والوقار ثم تريد أن يستقبل مغنياً من المغنيين يسمع به كل الناس؟

ابن جامع: وما هو المانع..أنا لا أفهم هذا أبداً؟ ما الذي ينقص ابن جامع المغني حين يتفقّه في دين الله؟

ابن البغدادي: اسمع يا إسماعيل..لا تحسبن الثياب التي تلبسها بما فيها من الوقار والسمت يمكن أن تحميك..لقد بدأ الناس حقاً يتحدثون عنكما هذا الصباح ويدهشون لمواقفة القاضي لك.

ابن جامع: وما الذي يحشر الناس بيننا؟

ابن البغدادي: بل كاد بعضهم يخبر القاضي عنك ثم قالوا: لا لعله لا يعود إلى مرافقته بعد اليوم فلم نغمه؟

ابن جامع: سخافات وتفاهات..

ابن البغدادي: ولكنها ذات شأن عند الناس..

نقلـــــــة.....

أبو الفرج: فلما كان الأذن الثاني ليحيى بن خالد غدا عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف فنظر يطلب ابن جامع فرآه فذهب فوقف الى جانبه فحادثه طويلاً كما فعل في المرة الأولى فلما انصرف قال له بعض أصحابه: أيها القاضي أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث؟ قال: نعم رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء..قالوا: بل هو ابن جامع المغني قال: أنا لله..قالوا: إنّ الناس قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك..

ابن البغدادي: مرحباً يا ابن جامع.

ابن جامع: أهذا أنت يا ابن البغدادي؟

ابن البغدادي: قل لي ما الذي تغير عند القاضي؟

ابن جامع: لست أدري..لقد جاء هذا اليوم وتنكبني دون ذنب جنيته..

ابن البغدادي: لا بد أن بعض أصحابه قد أنذره بك وأعلمه أنّك ابن جامع المغني..

ابن جامع: " فترة صمت " ألا ترى أنّني يجب أن أفعل شيئاً؟

ابن البغدادي: لو كنت مكانك لفعلت..لكن دعني أتأكد أولاً من صحة ظنك..

ابن جامع: كما تشاء..

نقلـــــة.....

ابن البغدادي: سلام الله عليك يا أبا يوسف..

أبو يوسف: وعليك السلام ورحمة الله..

ابن البغدادي: هل تعلم يا أبا يوسف أنّنا قد أنسنا بك في اللقاءات الماضية؟

أبو يوسف: ولم لم تخبرني بخبر الرجل الذي حسبته فقيها من قريش؟

ابن البغدادي: ظنّك في محله..فهو فقيه ومن قريش.

أبو يوسف: بل هو ابن جامع المغني.

ابن البغدادي: وما الذي يسوؤك من الغناء؟

أبو يوسف: الغناء يا ابن البغدادي ليس مما أحضره وأوافق أصحابه.

ابن البغدادي: هل يعني هذا أنّك أسقطت الرجل من حسابك؟

أبو يوسف: إنّ له حياته ولي حياتي..

ابن البغدادي: لكن تنكبك له قد يسيء إليه..

أبو يوسف: سينسى أحدنا الآخر بعد قليل..

نقلة.....أحاديث غير واضحة.....

ابن جامع: " يرفع صوته " يا أبا يوسف، ما لك تنحرف عني؟ وأي شيء أنكرت مني؟

أبو يوسف: لا شيء يا ابن جامع فقد شغلتني عنك شواغل خاصة.

ابن جامع: بل قالوا لك إنّي ابن جامع المغني ونصحوك بالانحراف عني فكرهت موافقتي لك! " فترة صمت " هل أسألك مسألة؟ أجبني عنها ثم أصنع ما شئت..

ترتفع الضجة مرة أخرى.....

ابن البغدادي: " وكأنّه يحدث نفسه " الآن سيحتدم الحوار ويحلو الاستماع..

أبو يوسف: اسأل مسألتك..

ابن جامع: " يرفع صوته دائماً " يا أبا يوسف لو أنّ أعرابياً جلفاً وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه فقال:

يا صاحب القبر الغريب بالشام في طرف الكثيب

أكنت ترى في ذلك بأساً؟

أبو يوسف: كلا..فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر قول وردي في الحديث..

ابن جامع: فإن قلت أنا هذا الشعر نفسه وأتممته على طريقتي..

عزف موسيقي..ابن جامع يغني..

يا صاحب القبر الغريب ... بالشام في طرف الكثِيب

بالحِجْر بين صفائح ... صُمٍّ تُرصَّف بالجبُوب

رصْفا ولحدٍ مُمْكِنٍ ... تحت العجاجة في القليب

فإذا ذكرتُ أنينَهُ ... ومغيبَه تحت المغيب

هاجتْ لواعجُ عَبْرة ... في الصدر دائمة الدَّبيب

أسفاً لحسن بلائه ... ولمصرع الشيخ الغريب

أقبلتُ أطلبُ طِبَّه ... والموت يُعْضِل بالطبيب

يا أبا يوسف ، أرأيتني زدت فيه أو نقصت منه؟

أبو يوسف: " في تردد " عافاك الله يا ابن جامع، أعفنا من الجواب.

ابن جامع: يا أبا يوسف أنت صاحب فتيا ما زدت على أن حسنته بألفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب..

ابن البغدادي: " فترة صمت " لا تتعب نفسك يا ابن جامع فإنّ دون ما تبغيه حواجز لا تخترق فلا سبيل لك إليه..

نقلـــــــة.....

أبو الفرج: وعن سفيان بن عينية وقد مر به ابن جامع يسحب الخز فقال لبعض أصحابه: بلغني أنّ هذا القرشي أصاب مالاً من بعض الخلفاء فبأيّ شيء أصابه؟ قالوا: بالغناء. قال: فمن منكم يذكر بعض ذلك؟ فأنشد بعض أصحابه ما يغني فيه.

وأَصحَب بالليل أهلَ الطَّواف ... وأرفع من مِئزَرِي المسْبَلِ

قال: هذا كلام حسن. فقيل له: ويغني أيضا:

عَسَى فارجُ الكرب عن يوسفٍ ... يُسخِّر لي رَبّة المحْمِل

قال: أما هذا فدعه جانباً.....

ابن جامع: " يرفع صوته " يا حولاء..يا حولاء..

حولاء: " من بعيد " نعم يا سيدي..

ابن جامع: تعالي فأنا في حاجة إليك..

حولاء: مرني يا سيدي..

ابن جامع: هل تصدقين بوجود شيطان يهتف بالألحان؟

حولاء: وما يدريني؟

ابن جامع: بلى..هناك شيطان للغناء كما الشيطان للشعر.

حولاء: إسمع هذا الكلام لأول مرة..

ابن جامع: لكن كثيرين غيري من المغنيين وصانعي اللحان قد زعموا ما أزعمه فإنّ لكل منهم شيطانه يهتف له باللحن والصوت في نومه أو في يقظته وقد جاءني في هذه الليلة شيطاني.

حولاء: بسم الله الرحمن الرحيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

ابن جامع: لقد استفدت بعظيم من الشيطان الرجيم..لكن شيطاني غير من تقصدين إليه..

حولاء: الحقيقة يا سيدي أنّني لا أفهم عنك منذ هذه الليلة..

ابن جامع: حسن..علي بولدي هشام..

حولاء: في مثل هذه الساعة المتأخرة.

ابن جامع: أوعوه لي وعجلوه..

حولاء: الساعة أجيئك به.

نقلـــة..ضرب شديد على الباب..

هشام: " بين النوم واليقظة " من الطارق في هذه الساعة؟

حولاء: أنا حولاء يا سيدي هشام.

هشام: دعيني يا غبية..أتبلغ بك السماجة حد إزعاجي في وسط الليل؟

حولاء: إنهض فإنّ والدك يدعوك إليه..

هشام: والدي أنا؟ ولماذا؟

حولاء: أفتح الباب أولاً ثم أقول لك.

هشام: " حركة فتح الباب " ماذا يريد والدي مني؟

حولاء: قال إنّ شيطانه أتاه في هذه الليلة وقد هتف به وهو في حاجة إليك.

هشام: وما الذي يدفع والدي إلى الهزل في مثل هذا الوقت؟

حولاء: قلت لك..ليس في الأمر هزل أبداً فهو جاد..صحيح..نسيت أن أقول لك بأن تأخذ عودك معك.

هشام: إذاً هو لحن جديد هتف به شيطانه..

ابن جامع: " فترة صمت " لماذا طال غيابك يا هشام؟

هشام: ظننت الأمر هزلاً في البداية..

ابن جامع: إحمل عودك بسرعة فإنّي أخاف أن يهرب اللحن مني..

ضرب بالعود ترافقه الآت موسيقية أخرى ثم يغني ابن جامع.....

لو كانَ لي قلبان لعشت بواحدٍ

وأفردتُ قلباً في هواكَ يُعذَّبُ

لكنَّ لي قلباً تَمَلكَهُ الهَوى

لا العَيشُ يحلُو لَهُ ولا الموتُ يَقْرَبُ

كَعُصفُورةٍ في كفِّ طفلٍ يُهِينُها
تُعَانِي عَذابَ المِوتِ والطِفلُ يلعبُ
فلا الطفل ذو عقلٍ يرِقُّ لِحالِها
ولا الطّيرُ مَطلُوقُ الجنَاحَينِ فيذهبُ

حولاء: " تصفق " أحسنت يا سيدي وأجدت أهذا هو ما هتف به شيطانك؟

ابن جامع: هل يعجبك ما سمعت؟

حولاء: إذا كان ما سمعت هو ما هتف به الشيطان فأنعم به من هتاف.

ابن جامع: وماذا عساك تحسبين غيره يا غبية؟

حولاء: " تضحك " ليت أنّه يكثر من زياراته لك " يضحكون "

هشام: وليت أنّ سفيناً بن عينية قد سمع غناءك الليلة.

حولاء: هذا رجل وقور مترصن لا يحضر مثل هذا المجلس.

ابن جامع: إنّي والله لأعجب لهؤلاء الناس؟ يسمعون البدوي الجلف الغليظ يقول شعره بلسانه الجافي فلا ينكرون منه شيئاً فإذا أنشدناهم إياه محسناً أنكروه ونفروا منه.

هشام: ألم تسمع بما جرى أمس يا أبي؟

ابن جامع: وماذا جرى أمس؟

هشام: أمس رآك سفيان وأنت تسحب الخز..

ابن جامع: صحيح..أذكر أنّه مررت به أمس لكنني رأيته من بعيد فلم أسلم عليه.

هشام: لقد بلغني أنّه قال لبعض أصحابه وقد غبت عن عينيه: سمعت أنّ هذا القرشي أصاب مالاً من بعض الخلفاء فبأي شيء أصابه فقيل له: بالغناء فرغب إليّ من حوله أن يسمعوه بعضه فأنشدوه قولك:

وأسجد بالليل حتى الصباح ... وأتلو من المحكم المنزل

ابن جامع: لا بد أنّه قد أعجبه..

هشام: لقد أعجبه فعلاً..ولكنه أنكر عليك قولك:

عسى فارج الهم عن يوسف ... يسخر لي ربة المحمل

نقلـــــة.....

أبو الفرج: قال برصوما الزامر وقد ذكر أمامه إبراهيم الموصلي وابن جامع: الموصلي بستان تجد فيه الحلو والحامض وطرياً لم ينضج فتأكل منه من ذا وذا أما ابن جامع فهو زق عسل، إن فتحت فمه خرج عسل حلو، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو وإن فتحت عسله خرج حسل حلو كله جيد..

ضجة ناس..ضحكات..صرخات أطفال..ضرب بالعود ثم يغيب الضجيج..

ابن البغدادي: مرحباً يا هشام..

هشام: مرحباً يا أبن البغدادي..إجلس وانضم إلى مجلسنا.

ابن البغدادي: والله لا تحلو المجالس إلا بعود أبيك فأين هو؟

هشام: نحن بانتظاره..

ابن البغدادي: كنت أتمنى أن أنتظره معكم لولا أنيّ على ميعاد..

هشام: قل لي هل صحيح أنّك كنت مع ابن أبي عمرو الغفاري ورفاقه في فخ؟

ابن البغدادي: كانت أياماً حلوة حافلة بالطرب والأنس وحسن المجالسة.

هشام: حدثني هل صحيح أنّ ابن أبي قباحة قد غنى في مجلس أبي؟

ابن البغدادي: أي والله..تصور يا هشام أنّ القوم كانوا محرمين يريدون العمرة غيري أنا فلما كنا بفخ نزلنا على بئر فيها لنغتسل فسمعنا غناء فإذا هناك والدك يغني مع أصحاب له..

نقلــة.....ضجة..عود يضرب به..ضحكات.....

ابن البغدادي: السلام عليكم ورحمة الله.

ابن جامع: وعليك السلام..تعال يا ابن البغدادي فقد وصلت في الوقت المناسب...

ابن البغدادي: معي رفاق طريق..

ابن جامع: أدعهم يشاركوننا في المجلس.

ابن البغدادي: إنهم سيلحقون بي فقد سمعوا من غنائكم ما سمعت.

فترة صمت..تحيات متبادلة...

ابن جامع: " يترنم "..

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل ولم تر الشمس إلا دونها الكلل

مشي الهوينى كأن الريح ترجعا مشي اليعافير في جيئاتها الوهل

ابن البغدادي: هذا شعر يستحق الغناء..

ابن جامع: فاسمع إذاً.." يضرب بالعود ثم ينخفض شيئاً فشيئاً حتى يزول "..

هشام: " فترة صمت " وكيف غنى ابن أبي قباحة؟

ابن البغدادي: حين استطار الغناء قلبه ثم دعانا أبوك إلى منزله فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح والجميع على إحرامهم.

هشام: حسن..هل ستبقى واقفاً؟

ابن البغدادي: ألم أقل لك إنيّ على ميعاد؟ أعود إليكم إن شاء الله في غير هذا اليوم..

هشام: رافقتك السلامة..

يضرب بالعود مرة أخرى وتعود الضجة ثم ينخفض الصوت شيئاً فشيئاً...

موسيقى نهايـــــة.....